

روح المعاني

وإظهار لقصوره عليه السلام وللنفس في كلامهم إطلاقاً فتطلق على ذات الشيء وحقيقته وعلى الروح وعلى القلب وعلى الدم وعلى الإرادة قيل : وعلى العين التي تصيب وعلى الغيب وعلى العقوبة ويفهم من كلام البعض أنها حقيقة في الإطلاق الأولى مجاز فيما عداه وفسر غير واحد النفس هنا بالقلب والمراد تعلم معلومي الذي أخفيه في قلبي فكيف با أعلنه ولا أعلم معلومك الذي تخفيه وسلك في ذلك مسلك المشكلة كما في قوله : قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً إلا أن ما في الآية كلا اللفظين وقع في كلام شخص واحد وما في البيت ليس كذلك وفي الدر المصون أن هذا التفسير مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحكاه عنه أيضاً في مجمع البيان وفسرها بعضهم بالذات وادعى أنه نسبتها بهذا المعنى إلى الله تعالى لا تحتاج إلى القول بالمشكلة ومن ذلك قوله تعالى : كتب ربكم على نفسه الرحمة واصطنعتك لنفسك ويحذركم الله نفسه وقوله صلى الله عليه وسلم : أقسم ربي على نفسه أن لا يشرب عبد خمراً ولم يتب إلى الله تعالى منه إلا سقاه من شينة الخبال وقوله E : ليس أحد أحب إليه المديح من الله D ولأجل ذلك مدح نفسه وقوله A : سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه إلى غير ذلك من الأخبار .

وقال المحقق الشريف في شرح المفاتيح وغيره : إن لفظ النفس لا يطلق عليه تعالى وأن أريد به الذات إلا مشكلة وليس بشيء لما علمت من الآيات والأحاديث وإدعاء أن ما فيها مشكلة تقديرية كما قيل ذلك في قوله تعالى : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة لا يخفى أنه من سقط المتاع فالصحيح المعول عليه جواز إطلاقها بمعنى الذات على الله تعالى من غير مشكلة نعم قيل : أن لفظ النفس في هذه الآية وإن كان بمعنى الذات لا بد معه اعتبار المشكلة لأن لا أعلم ما في ذاتك ليس بكلام مريض فيحتاج إلى حمله على المشكلة كله بأن يكون المراد لا أعلم معلوماتك فعبر عنه بلا أعلم ما في نفسك لوقوع التعبير عن تعلم معلومي بتعلم ما في نفسي .

وعلى ذلك حمل العلامة الثاني كلام صاحب الكشاف ولا يخفى ما فيه والتحقيق أن الآية من المشكلة إلا أنها ليست في إطلاق النفس بل في لفظ في فإن مفادها بالنظر إلى ما في نفس عيسى عليه السلام الارتسام والانتقاش ولا يمكن ذلك نظراً إلى الله تعالى وإلى هذا يشير كلام بعض المحققين ومنه يعلم ما في كتب الأصول من الخط في هذا المقام وقال الراغب : يجوز أن يكون القصد إلى نفي النفس عنه تعالى فكأنه قال : تعلم ما في نفسي ولا نفس لك فأعلم ما فيها كقول الشاعر : .

ولا ترى الضب بها ينحجر .

وهو على بعده مما لا يحتاج اليه ومثله ما ذكره بعض الفضلاء من أن النفس الثانية هي نفس عيسى عليه السلام أيضا وإنما أضافها الى ضمير ا[] تعالى باعتبار كونها مخلوقة له سبحانه كأنه قال : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما فيها إنك أنت علام الغيوب .

. 611

- تقرير لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما لما فيه من الحص ومدلوله الاثبات فيقرر تعلم ما في نفسي لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ويلزمه النفي فيقرر لا أعلم ما في نفسك لأنه غيب أيضا ومدلول النفي أنه لا يعلم الغيب غيره تعالى شأنه .
وقوله تعالى : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به استئناف كما قال شيخ الاسلام مسوق لبيان ما صدر عنه عليه السلام قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وأكدته حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال